

# اللغة بين البلاغية والإبلاغية في الفكر الاعترالي

أ/ مكناسي صفية، ج/ ابن خلدون - تيارت

• ماهية اللغة عند المعتزلة بين المرجعية والجمالية: حظيت اللغة باهتمام الإنسان منذ نعومة أظفاره، حيث تعلق بها كحبل يوصله بأخيه الإنسان، ليكشف هذا الكيان الموازي له، فلم «تبرح المسألة اللغوية تشغل الفلاسفة والمفكرين منذ الأزل، ابتداءً من سقراط وأفلاطون وأرسطو طاليس (384-322 ق.م) إلى هيدجر (1889-1996) *Martin Heidegger* مروراً بابن جني (392هـ) وابن سينا (428هـ)، وابن خلدون (808هـ) وما ذلك إلا لأن اللغة هي التفكير وهي التخيل، بل لعلها المعرفة نفسها، بل هي الحياة نفسها»<sup>1</sup>، فلم يجد الإنسان ملاذاً من اللغة إلا في اللغة، فهي وسيلته في التفكير وأداته في التواصل وسبيله إلى المعرفة. لاحت حاجة الفطرة الإنسانية إلى التواصل في الأفق، منادية بضرورة الاعتماد على نظام لتحقيق «المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة وانبعثت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف، وتركيبها ليبدل بها على ما في النفس من أثر، ثم وقع اضطرار ثان، إلى إعلام الغائبين من الموجودين في الزمان أو المستقبليين إعلاماً بتدوين ما علم فاحتيج إلى ضرب من الإعلام غير النطق فاخترعت أشكال الكتابة»<sup>2</sup>، ليتوسل بذلك كل الطرق لتحقيق غاية المشاركة مع الآخر، والتفاعل معه عبر آلية اللغة، للتعبير عن الهواجس والانفعالات وإيصالها إلى الآخر. مثّلت اللغة المرآة العاكسة للأفكار من منطلق مركزية كونها «ظاهرة اجتماعية»<sup>3</sup>، يشترك فيها مجموعة من بني البشر، تجمعهم وحدة الأنظمة التي تحددها، لتكون وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز، التي يستخدمها الفرد باختياره قصد غاية التواصل المنشود<sup>4</sup>، وفي ظل هذه الغاية تستمد اللغة أهميتها حيث ما فتئت تشغل الفكر الإنساني منذ بداية الوعي بالواقع اللغوي.

تتجلى للعيان وظيفة اللغة الأساسية التي أقيمت من أجلها، من حيث كونها «أصواتاً يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>5</sup>، جامعة بين البعد الوظيفي، والبعد التواصلية من خلال نظام التبادل والمشاركة الجماعية بين أفراد الجنس الواحد فحازت على التفرد في ترجمة الفكر، وكانت الحافظة للتراث الإنساني بدءاً به ككيان ووصولاً إلى كل ما يحيط به. فأخذت اللغة تطرح نفسها كمعطى أصيل لا يمكن لحقيقة الإنسان أن تنمو بعيداً عنها، إلى درجة أن «تشكل الإنسان من حيث

هو ذات في اللّغة باللّغة، إذ هي وحدها التي تُؤسس في حقيقة الأمر مفهوم "الأنا" ضمن واقعها الذي هو واقع الوجود»<sup>6</sup>، فاللّغة قبل أن تُتوسل في التّواصل بين بني البشر «كانت أداة لتحقيق الوئام الداخلي، وبلورة الإنسان كذاتية خاصة، لتنتقل لكونها الأداة الأكثر نجاعة للتّواصل مع الآخرين المشاركين لنا في وجودنا»<sup>7</sup>، متعالية بذلك على عرش السلطة على البشر، ولعل ما أكسبها هذه السلطة وهذا السحر، هو طرائق الاستعمال والتّشكيل من لدن المبدعين والأدباء متوسمين فيها التّواصل بوجهيه النفعي والنوعي. تجاوزت اللّغة بعدها الفردي وصفتها الاجتماعية إلى بعد آخر، من خلال كونها «عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام»<sup>8</sup>، ليتحقق البعد التّداولي الذي يشمل عبارة المتكلم، من خلال تنزّل اللّغة من كونها قوانين وقواعد مجردة إلى كلام منجز بواسطة اللسان من خلال ضرورة «أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان حيث تكمن روح اللّغة في نوع النشاط الإنساني نشاط من جانب فرد يجد في إفهام نفسه لشخص آخر، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بفرض فهم ما كان يجري في ذهن الشخص الأول»<sup>9</sup>. بالإضافة إلى البعد التّواصل الذي مثل الوظيفة الرئيسة للّغة، من منطلق أنه «التّبادل الكلامي بين شخص متكلم *Parlant sujet* الذي ينتج ملفوظاً موجّهاً إلى متكلم آخر، وهذا المخاطب *Interlocuteur* يلتبس الاستماع أو الجواب الصريح أو المضمّر حسب نمط الملفوظة»<sup>10</sup>، فإن محدّدات اللّغة «موقوفة على البعد التّداولي، الذي ينصرف إلى قصد المتكلم وإرادته في توجيه الخطاب للآخر بغية تسويق هذا القصد أو تبليغ معتقده»<sup>11</sup>، إلا أن اللّغة لم تكف بكونها «وسيلة للتّخاطب والتّفاهم والتّواصل فحسب، وإنما اللّغة وسيلتنا للتأثير في العالم، وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف»<sup>12</sup>، ليتحقّق الإقناع أو الإمتاع أو كلاهما على حدّ السواء. قد يحدث أن تردّج أساليب "الإقناع" بأساليب "الإمتاع" فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب، وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الإمتاع من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إلهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين<sup>13</sup>، فالإمتاع يساعد على تحقيق الإقناع والتأثير في المخاطب من قبيل قوة استحضار الأشياء في مخيلة المخاطب؛ فاللّغة من هذا المنظور «أكثر من كونها مجرد أنظمة لنقل الأفكار فهي أكسية غير مرئية تكسو أرواحنا وتصيغ على تعابيرها الرّمزية شكلاً مهياً سلفاً، وحين يكون التعبير ذا دلالة غير اعتيادية نسمّيه أدباً»<sup>14</sup>؛ كما أنّها وسيلة الأدب إذ «تظلّ في توالد وتزايد كل يوم لتؤدّي عنا حاجاتنا اليومية التي نريدها منها، ونحملها على التعبير عنها في تواصلنا على مختلف مستويات هذا التّواصل»<sup>15</sup> العادي، النفعي والنوعي

لتشكّل نظاماً خاصاً وفق كل مستوى من هذه المستويات مبرزة مدى قدرتها على الأداء من خلال تباين مستويات النسيج في استعمالات الأدباء والمبدعين لها. إذا كان التّواصل بين بني البشر لا يقوم عن طريق اللّغة فحسب وإنما يُتوسّل طرائق وآليات غير لغوية لتجسّده. فإنّ اللّغة في التّواصل اللّغوي تتأى عن كونها مجرد ناقل للمعلومات والأخبار، شأنها شأن آليات التّواصل الأخرى، بل اللّغة ناقلة للأحاسيس والانفعالات التي تعجز الوسائل الأخرى عن نقلها؛ فالفرق بين التّواصلين يتمثل في تلك الاستراتيجية الخطابية التي يتبنّاها المتكلّم قصد تحقيق هدفه الاتصالي وتفسير مقصديّته التي يريد الكشف عنها في شكل غرض أو هدف، ذلك «أننا نتكلّم في العادة من أجل أن نبلغ هدفاً، هذا الهدف يؤثر لا محالة في القول الذي نقول ومنذ وقت قديم لوحظ أن تقدير نجاح المتكلم يوجب علينا أن نتصور ما يحاوله»<sup>16</sup>، فهدف التّواصل اللّغوي يكون مبنياً على قصد أو غاية تتحقّق من خلفية الاستراتيجية المعتمدة في الخطاب.

إنّ اللّغة لا تتوقف وظيفتها عند حدود الإفهام أو الإشارة أو الدلالة المعجمية، بل تتعدّى ذلك لتصل إلى الإثارة والتأثير والانفعال، أو ما سمّاه القدماء بالإطراب الذي هو غاية البلاغة ومهمتها فـ«البلاغة هنا حالة تكونها الكلمة حين يحسن اختيارها، ويقوى أدائها، وتقدر على الإيحاء، ولكي يحسن اختيارها يجب أن تصفو من الشوائب التي تعلق بها، ولكي يقوى أدائها يجب أن تتخلّص من العوائق التي تجعل الأداء ضعيفاً، أمّا قدرتها على الإيحاء فتتّشأ عن العلاقات التي تعقدها فيما بينها وبين جارتها»<sup>17</sup> والبلاغة في أصل اشتقاقها اللّغوي تتمحور حول التّبليغ والتّوصيل وطرائقهما من خلال القدرة على نقل معنى يعتمل في النّفس إلى خارجها وتبليغها إلى الآخر، عن طريق الكلام بالدرجة الأولى ووسائل أخرى أشهرها الكتابة التي وسعت من معنى التّوصيل وأكسبته بعداً كبيراً في المكان وامتداداً غير متناهٍ في الزمان، ومن خلال هذين القطبين للتّوصيل اللّذين يشملان السامع المباشر، والمتلقّي غير المباشر، تعدّدت المحاولات البشرية لتجويد الأداء وإحكام التّوصيل والتّبليغ، والدقّة في لمس مواطن النّفس المراد التأثير فيها وتجسّد ذلك كله من خلال فنّي الخطابة والكتابة<sup>18</sup>، وأصبحت اللّغة بمثابة العملة المتعارف عليها بين الباحث والمتلقّي متجسدة في أشكال الكتابة، وأنماط التعبير الشفوية الموضوعية للتّواصل. هكذا عزفت اللّغة على وتر الجماليّة والوظيفية، أو الإبلاغية والبلاغية وفق مستويات التّواصل النّوعي والنفعي وتفاضلت «في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تأدية المعاني التي تقوم بالنّفس تامّة على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير»<sup>19</sup>، ليطاير للأنظار هنا مستويان من اللّغة: اللّغة الأدبية أو الفنّية واللّغة العادية. اللّغة الأدبية أو الفنّية أو الشّعريّة «تختلف عن

غيرها من حيث إنّ كلماتها ترقى إلى المستوى الاستيطقي الذي لا يبلغه سواها»<sup>20</sup> في حين تقتصر اللغة العادية على الدلالة الإشارية للأشياء مغسولة من رونق الشعرية، ففي الوقت الذي تقوم به اللغة العادية بوظيفة التوصيل، تسمو اللغة الفنية من خلال الإبداع وتنقل «ما لا تعرف اللغة العادية أن تنقله»<sup>21</sup>، من أحاسيس ومشاعر وانفعالات من خلال إعادة خلقها والانتقال بها من المستوى النفعي إلى آفاق النوعية، عن طريق الآداءات والإنجازات اللغوية؛ وحاصل القول أنّ ماهية اللغة تمثلت في وجودها الأزلي بوجود الإنسان كضرورة ألحت عليها الطبيعة البشرية، المتمثلة في المحاور والمشاركة، وغايتها كانت التبليغ والتوصيل وفق درجاته ومراتبه، وذرى هذه المراتب تتجسد في التواصل الأدبي.

• **التواصل اللغوي وتداولية اللغة من منظور الاعتزال:** إذا كانت الوظيفة الأساسية التي أقيمت من أجلها اللغة هي التواصل، فإنّ النموذج التواصلي في الدراسات المعاصرة انطلق من أحضان الدرس اللغوي، وتبلور على يد اللساني ياكوبسون (\*) "R. Jakobson" في ما عرف بالخطاطة التواصلية<sup>22</sup> وقد كان لهذا النموذج إرهاب قديم في تراثنا العربي عند حازم القرطاجني<sup>(\*\*)</sup> (684هـ) ليصل إلى الدرس النقدي والأدبي ويصطبغ بسمه الأدبية، من خلال الدعوة إلى إيجاد نظرية للتواصل الأدبي مع فان ديك<sup>(\*)</sup> "Van Dijk" على إثر هذه الصيرورة من المجال اللغوي إلى المجال النقدي تتمحور مركزية هذا البحث على التواصل يوم تلبسه بالأدبية أو الشعرية. فالبحث هنا يقوم على بعدين اثنين، البعد التواصلي وكيفية حدوث التفاعل بين الأطراف المتخاطبة، وتحديد العوامل التي يكون فيها هذا التفاعل ممكنا والاتصال ناجحا، والبعد التداولي<sup>(\*\*)</sup> الذي يهتم باللغة في صورتها المادية المنجزة وبالظروف التي يتم في ظلها إنتاج الكلام، وبالتأثيرات التي يحدثها هذا الكلام حيث «إذا كان اهتمام التداولية بالكلام الذي يتيح الدراسة الملموسة للغة يجعلها تهتمّ بمن ينكلم وبماذا يقول؟ ومع من؟ ولماذا؟ وكيف؟ ومتى؟... إلخ، فإنّ التواصل يرتبط كذلك بنفس الاهتمامات حيث خصّ هارولد لاسويل<sup>(\*\*\*)</sup> عملية الاتصال بأسئلته المشهورة التالية:

1. من *Who*، 2. يقول ماذا *Says What*، 3. بأي وسيلة (قناة) *In Which*، 4. لمن *To Who*، 5. بأي تأثير *With What Effect*<sup>24</sup>، وهنا يتجلى الارتباط بين التداولية والتواصل، بل أكثر من ذلك من خلال كون «التواصل موجود في قلب التداولية»<sup>25</sup>. الصلة بين التواصل والتداولية تظهرها العلاقة بين المرسل والمتلقي، حيث إنّ هذه «العلاقة التي حرصت البلاغة على إبرازها قد وجدت طريقها إلى نظرية الاتصال، وبالتالي إلى التداولية التي عُيّنت بالسياقات

المختلفة، وأطراف الموقف التّواصلي عناية كبيرة، وإذا كان "لاوسبرج" (\*) يرى أنّ البلاغة نظام له بنية من الأشكال التّصورية واللّغوية يصلح لإحداث التأثير الذي ينشده المتكلم في موقف محدد، فإنّ "ليش" *U.leich* يرى أنّ البلاغة تداوليّة في صميمها إذ إنّها ممارسة الاتّصال بين المتكلم والسامع، بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير على بعضهما<sup>26</sup>. وإذا كانت البلاغة والتّداوليّة تعتمدان على اللّغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقّي، على أساس أنّ النصّ اللّغوي في جملته إنّما هو نص في موقف، حيث لكل رسالة قصدها وموقفها وظروف تلقّيها<sup>27</sup>، فإنّ «التّواصل كما صوّره "هابرماز" ينظر إلى اللّغة في بعدها البرغماتي، فهو يُعنى باللّغة وهي منغمسة في تيار الإنتاج والإبداع»<sup>28</sup>؛ فالتّواصل المنشود هنا هو التّواصل النّوعي «لأنّ نظرية الاتّصال الأدبي» (\*) لن تهتمّ بالنّصوص المنعزلة، إنّما بالشروط والأبنية والوظائف والنتائج الخاصة بالأفعال التي تحشد في النصوص الأدبية، لأنّ عمليات الاتّصال الأدبي عمليات تقوم مادتها الموضوعية على العلاقات بين النّصوص الأدبية وسياقاتها»<sup>29</sup>، لأنّ مجال اهتمامها هو أفعال الاتّصال، وسياقات الاتّصال وافتراضات النتائج المتوخّاة من أثر الاتّصال الأدبي. من هذا المنطلق تقوم نظرية التّواصل الأدبي «على الخاصية الاستعمالية للغة التي لا تعني فقط إخراج اللّغة التّداولية من القوّة إلى الفعل، ولكن تعني مع ذلك استعمال كل الآليات المنطقية والبلاغية التي تصحب الاستعمال التّداولي بين أفراد المجتمع، لتصبح تلك الآليات وسائل ينفذ بها الأفراد أهدافهم الاتّصالية والتوضيحية في نسق مضمون النتائج»<sup>30</sup>. من العلوم التي أخذت على عاتقها هذه المهمة في الدّرس العربي القديم البلاغة «إذ تمثّل علماً للاتّصال يتناول كل ما يرتبط باستعمال اللّغة وممارستها من دون أن تستثني في ذلك شيئاً مما له علاقة بالتّواصل، وتعدّ البلاغة أحسن ما يتناول إبراز العلاقات التّداوليّة في اللّغة»<sup>31</sup>، في مختلف المستويات اللّغوية التركيبية والدلالية. شكّلت اللّغة في بعدها التّداولي، وميادين استعمالها خصوصاً التّواصل الأدبي مواضيع بحث ظلّت مهيمنة على علماء اللّغة على اختلاف مناهجهم ومشاربهم، إذ يمكن التأكيد على أنّ «ميدان استعمال اللّغة هو الخطاب، فالتلفظ بالخطاب هو النّشاط الرئيس الذي يمنح استعمال اللّغة طابعه التّداولي بوصفه نقطة التّحول بالممارسة الفعلية مما يبلور عناصر السياق في الخطاب من مرسل ومرسل إليه كما أنّه يتحدّد به القصد والهدف»<sup>32</sup> من وراء هذه الرّسالة لتتفاعل هذه العناصر مجتمعة لتحقيق الأدبية في العمليّة التّواصلية حيث يجب أن يتوخّى المتكلم أثناء استعماله للغة اختيار الاستراتيجية المناسبة التي تستطيع أن تترجم قصده وهنا يكون الحديث عن «الذرائعية الأدبية» (\*) من خلال تحديدها لكل ما هو أدبي

من وجهة لائحته الاتّصالية»<sup>33</sup>، الذي يحصل نتيجة تخطيطات الباحث في صنع الجماليّة عن طريق توحيّ طرائق التأثير والإمتاع عند المتلقّي. إذا كانت الدّراسات الحديثة قد أفاضت القول في الاستعمالات اللّغوية في مجال الدّوليّة والتّواصل الأدبي واللّغوي؛ فإنّ مناط هذا البحث يركّز على اهتمامات الدّرس العربي القديم، وقوله في الاستعمالات اللّغوية والأداءات الكلامية ولأنّ الدّرس العربي القديم في تشكّله اختلفت اتّجاهات علمائه وتنوعت مشاربهم في تأسيس العلوم خصوصاً علم البلاغة والنّقد، فإنّ هذا البحث يولي التّيار الاعتزالي اهتمامه، في محاولة سبر أغوار جهوده في هذا الميدان.

• **إرهاصات التّواصل الأدبي في الفكر الاعتزالي:** تضافرت تيارات مختلفة الفكر في نشأة الدّرس اللّغوي والأدبي العربيين في التراث، وهذه التّيارات وجّهها الفكر النابغ، حيث إنّ «كلّ فرقة انشعبت في الإسلام وانبسط لها ظل، فإنّما هي عقل رجل ذكي واحد، بالغا ما بلغ أتباعها ومنتحلو عقائدها، فإن نبغ من هؤلاء عقل آخر انصدعت الفرقة، فخرجت منها فرقة ثانية»<sup>34</sup>، وهذه الفرق لم تختلف في الأصل ولكنها اختلفت في الفرع؛ وقد شكّل هذا الاختلاف<sup>(\*)</sup> نعمة على الدّراسات الإعجازية والنّقد والبلاغة من ناحية التنوع في الآراء التي أحدثت تفتّقا في توجهات الدّراسات اللّغوية والأدبية. ففي الوقت الذي انفتحت فيه العقلية العربية على العقليات الأجنبية، من خلال الاتّصال بحضارات الأمم الأخرى عن طريق الفتوحات، وفي خضم المطاعن التي لحقت بالقرآن الكريم «كان المتكلمون»<sup>(\*)</sup> خاصة المعتزلة، وأصحاب الفرق الإسلامية هم المهيّؤون تاريخيا للقيام بهذا الدور والدّفاع عن الإسلام دفاعا لم تعد تكفي فيه حرارة الإيمان»<sup>35</sup>، لذا وجبت مجابهة الخصم بالسّلاح الذي يجيد استعماله؛ وقد كان سلاح الطاعنين الحجّة الداحضة والمنطق المنتسب إلى العقل المفكّر والمدبّر خصوصا وأنّ «الخصومة في طبيعتها لم تكن خصومة سيف وسان، ولكنها كانت خصومة قول وبيان»<sup>36</sup>، فقد كان حريا بالمعتزلة أن يكونوا المرشحين لهذه المهمة باعتبار أنّهم «أول من تسلح بالعقل والمنطق وعلم الكلام للدّفاع عن الإسلام في وجه التّيارات الوافدة»<sup>37</sup>، لما اتّصفوا به من تعويل كبير على العقل في تسيير الأمور. فقد أحست هذه الفرقة أنّ سلاحها المواتي في مجابهة هذا الصراع هو التّمكّن من فنون القول، وإجادة طرائق التعبير المختلفة<sup>38</sup>، وإتقان وسائل التأثير والإقناع لتأدية المهام المنوطة بهم وكان ذلك كلّه من خلال البراعة في استخدام أفانين اللّغة. في ظلّ هذه الظروف والملابسات التي وجد المعتزلة والمتكلمون بصفة عامة أنفسهم فيها، وهي المطاعن التي وجهت للنّص القرآني والدّسائس التي صوبت له من لدن المنكرين والجاحدين؛ حُمِل المعتزلة إلى العناية بالبلاغة والإقبال على دراستها، حيث مثلت الأداة

التي لابد منها لهذه الطائفة والسلاح الذي لا غنى عنه لقوم نصبوا أنفسهم للجدال والنقاش، واعتلاء المنابر خطباء متحدثين<sup>39</sup>، لدحض حجج الخصوم وحماية ظهر الدين من الطعن فيه فقمين بهم التمكن من البلاغة لاعتبارها «وسيلة من وسائل الإقناع، وسلاحاً مهماً في المناظرة والجدل»<sup>40</sup>. بناءً على هذه الحاجة في استحداث آليات الإقناع انفتحت عقول المعتزلة على ثقافات الأمم الأخرى «وما كان لها من أقوال ونظرات في مسائل البلاغة وقضايا البيان وطرائق القول واستطاعوا أن يستفيدوا من ذلك كله في توسيع نظرتهم إلى الأمور، ونضج وعيهم وخبرتهم في معالجة هذه المسائل كما أدخلوا بعض هذه النظرات الأجنبية إلى البيان العربي (...) فتلّون على أيديهم لونا جديدا ولكنه لم يفقد أصالته العربية ولم تزهق روحه أو يخرج من جلده الأصلي، بل ظل هذا البيان العربي على أيديهم ناصعا أصيلا، بل وقد ازداد عمقا وخصبا وثراء في كثير من الأحيان»<sup>41</sup> فالمعتزلة أخذوا من الثقافة اليونانية ما يوافق مرجعيتهم أو قل ما يخدمها من ناحية التفكير في طرائق الحفظ ومناهج المعالجة، ولم يكونوا البتة حاطبي ليل، ليثبتوا تفوقهم في مجال البيان والبلاغة المتأصلين فيهم، وحسن توسلهم المنطق الذي دعت الضرورة إلى وجوده في منهج تفكيرهم. ما يعضد هذا الطرح في هذا المقام قوة إيمانهم بقيمة تراثهم ومكانة هذا الإيمان الذي قوّته وذكّت ناره ردّة الفعل التي أحدثتها هجمات أعدائهم وجعلتهم «رغم دراستهم للثقافات الأجنبية وتأثرهم بها يرون في الشعر العربي مصدراً من مصادر المعرفة الكبرى ووعاء لها»<sup>42</sup>، وهنا يظهر موقفهم الوسطي بين ضرورة المحافظة على الأصل، ولا ضير في مواكبة المستجدات إذا كانت تخدم الفكر وتساهم في نمائه. إذاً بين محافظة اللّغويين وإسراف المجددين وقف المعتزلة «موقفاً وسطياً وهو موقف جعلهم يقبلون على معرفة ما عند الأجانب من قواعد البلاغة لكن في احتياط، وهو احتياط يمثله الجاحظ(256هـ) خير تمثيل إذ يضيف إلى الشذرات التي رواها عن الأمم الأجنبية سيولا من ملاحظات العرب المعاصرين والقدماء وأساندة الاعتزال وبلغاء الكتاب، وسيولا أخرى من الشعر والنثر لتتضح حقيقة البلاغة العربية، ويتضح جواهرها الذي يقوم به البيان»<sup>43</sup> وقد دفعهم إلى هذه الوسطية وهذا الاحتياط طبيعة المهمة التي حملوها على عاتقهم والمتمثلة في الدفاع عن الإسلام. ففي الوقت الذي كانوا فيه مجبرين -من قبيل الوازع الديني والعقائدي- على التنقيب عن طرائق التفكير عند الخصوم للتمكن من الوقوف في مجاباتهم، كانوا حذرين ممّا يأخذونه ويترجمونه خوفاً من نفوذ عقائد أخرى إلى عقيدتهم؛ بالإضافة إلى هذا الحذر والاحتياط «مضوا يُخضعون الفكر الأجنبي للفكر العربي، مشتقين لأنفسهم مذاهب عقلية جديدة مصبوعة بالصبغة العقيدية الكلامية

وبالمثل أخضعوا كل ما سمعوه أو نُقل إليهم عن البلاغة عند الأمم الأجنبية لفكرهم ولل فكر العربي، وما يتصل به من الذوق المحكم الأصيل الذي يقيس روعة الكلام قياساً مضبوطاً دقيقاً<sup>44</sup>. فلما فرضت بيئة اللغويين المثال العربي القديم، ولم تزرغ عنه إلى غيره في محاولة التقنين للبلاغة والنقد العربيين، وانصاعت بيئة الفلاسفة والمترجمين إلى التجديد والإسراف فيه، واتخذت معايير البلاغة اليونانية في تقويم البلاغة العربية وقف المعتزلة «موقفاً معتدلاً بين الطرفين المتعارضين، إذ يقرؤون ما لدى الأجانب من مقاييس بلاغية ويقرّبونه إلى أنظار العرب في البلاغة، بل إنهم يخضعوه للذوق العربي الأصيل ومقاييسه<sup>45</sup>»، وهذا ما حدا بالقول أن تصوّرهم للغة بعمامة والشعرية بخاصة تصوّر محافظ يقوم على تقديس أوضاع اللغة القديمة التي جاء القرآن معبراً عن الإيمان بأفضل أساليبها<sup>46</sup> في الفكر الاعتزالي. لقد شغل المعتزلة أنفسهم بقضية البحث عن سر إعجاز القرآن الكريم وقد كان من جملة ما فسّروا به علّة هذا الإعجاز البلاغة، العائدة إلى اللغة وطرائق نظمها وتشكيلها، فقد كان لهم «فضل لا ينكر في الغوص في أسرار اللغة وأصولها وسبر أغوارها مستخدمين العقل نبراساً مضيئاً يستضيئون به، وإليه يرجعون في كثير من الأحوال<sup>47</sup>». إذا كانت اللغة تقوم على ثنائية اللفظ والمعنى، أو الدال والمدلول بالتعبير الألسني، فإنّ وجهة المعتزلة كانت صوب اللفظ، حيث إنّ اللغة عندهم «كل لفظ استطاع أن يدلّ على معنى معيّن وهذا المعنى قائم في كلّ نفس»، وقد تجسّد ذلك في حدّ ابن جني (392هـ) للغة من قبيل كونها أصواتاً يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم<sup>48</sup>. باعتبار المعاني قائمة في النفس غني المعتزلة بالألفاظ لكونها تعبّر عنها فهي «بمثابة الترجمان للجانب الفكري، وما يجري فيه وبالتالي لا يستطيع الحكم على أيّ فكر وسلامته إلا عن طريق ما يدلّ عليه اللفظ من معنى<sup>49</sup>» وتبقى المعاني محجوبة مستترة في النفوس حتى يأتي اللفظ ويظهرها للأعيان والأسماع لتبرر الغاية قيمة الوسيلة الممتطاة للوصول إليها لتحقيق التّواصلية. تتجسّد تواصلية اللغة في كلّ هذا من خلال التّأويل الذي يتمّ «بين المتكلم والسامع من جهة، ثمّ من جهة الموضوع وعلاقته بالوجود من جهة أخرى بمعنى أن المعتزلة يرون أن العمل التّأويلي هو في حقيقة أمره أكبر من خدمة طرف واحد فهو بحث عن تواصل أوسع وأشمل<sup>50</sup>» فالتأويل هو الذي أدار حركة التّواصل بين المؤول والنص والمؤول له.

اعتمد المعتزلة العقل واعتبروه مدماً في تأسيس شرعية علمية لمفهوم واقع اللغة في ربطها بالجانب العقلي، وذلك ابتداء من اللفظ وانتهاء إلى الحدث الكلامي فمفهوم الجملة مثلاً إنّما يعدّ وحدة، لا تستطيع الذات الإنسانية فهمها إلاّ بالقياس إلى مجموعة العبارات الأخرى، والكلمة إن كانت وحدة فنفس الشيء لا تفهم إلاّ



في ظل مجموع الجملة، وفيما يخصّ الفكرة فإن مفهومها الوجودي والمعرفي إنّما تستمدّه من سياق أو أفق واسع، قد تكون في بعض اللحظات الوجودية الفطرية من الأفكار الجزئية<sup>51</sup>. هكذا يبدأ البناء الهرمي لهيكل العملية التّواصلية، بدءًا بالكلمة التي لا يمكن أن يُفهم معناها إلّا في سياق يجمعها بأخواتها في تركيبة الجملة وكذلك الأمر بالنسبة للجملة أو العبارة، فلا يفتكّ منها معناها إلّا في السّياق العام الذي يجمعها في الوحدة الدلالية الكبرى المتمثلة في الخطاب أو النصّ، حيث «في كلّ تفهم تواصلٍ لحظتان اثنتان، الأولى تنطلق من ذاتية اللّغة أو تشقّ من اللّغة في حدّ ذاتها، والثانية من ذلك الإيمان الفطري الوجودي والمعرفي الذي يكمن في عقل المتكلم»<sup>52</sup> الشاهد على استخدامات اللّغة والأمر النهائي في اختياراتها وفق غايته وقصده<sup>(\*)</sup> من وراء هذه العملية، والمتمثل في الإخبار والإنباء عن الأشياء والأفكار. فالوظيفة المنوطة باللّغة في هذا الفكر تتجسّد في الإنباء والإخبار عمّا في النفس، عن طريق الإبانة والتوضيح، من خلال مراعاة حال المتكلم وقصده في محاولة فهم كلامه والاستدلال به، بالإضافة إلى الموضوعة<sup>53</sup> حتى يصير الكلام ذا فائدة؛ حيث لا تكفي الموضوعة في تحقيق غاية الكلام إلّا إذا عُضدت بالقصد عند المتكلم والذي يصير به الكلام مطابقا للموضوعة «فالكلام قد يحصل من غير قصد فلا يدلّ، ومع القصد فيدلّ ويفيد، فكما أن الموضوعة لا بدّ منها فكذلك المقاصد التي بها يصير الكلام مطابقا للموضوعة»<sup>54</sup> محققا للغاية المرجوة من ضرورات إنشائه. لذا يلعب القصد دوراً مهماً في اكتمال الدلالة عند أصحاب هذا الفكر -مضافاً إلى الموضوعة- حيث لا تكفي الموضوعة وحدها إلّا إذا قرّنت بقصد المتكلم لتؤدي الفائدة، والدليل على ذلك كلام المجنون الذي قد يكون في ألفاظه دلالة على معاني متواضع عليها لكن هذا الكلام لا يدلّ على قصده، فهو إذاً لا يمكن أن يقع دلالة لخلوّه من القصد<sup>55</sup> ولهذا اعتبر قصد المتكلم وحاله مؤشراً -بالإضافة إلى الموضوعة طبعاً- على حدوث الفائدة في كلامه ومن ثمّ جاز الاستدلال به. ولقد تمثّلت هذه الفائدة في غاية "الإخبار" و"الإنباء" حيث يعتبر الوظيفة الأساسية للّغة وإلى معناه ترتدّ كلّ أبنية اللّغة، وكما أنّ اللّغة تدلّ بشرطين هما: الموضوعة والقصد، فكذلك الخبر لا يقع خبراً إلّا بإرادة المتكلم<sup>56</sup>، من خلال معرفة حاله أثناء عملية التّكلم. تصادفنا في مفهوم ماهية اللّغة عند المعتزلة بعض الاختلافات التي نعتقد أنّها ستخرجنا من نطاق الدّرس العقائدي إلى رحاب الدّرس النّقدي والأدبي، ففي الوقت الذي يركّز فيه غالبية المعتزلة -خصوصاً القاضي عبد الجبار (415هـ)- على وظيفة الإنباء للّغة، نلتقي مع مفهوم الإبانة عند الجاحظ الذي هو بلا شكّ أوسع نطاقاً من "الإنباء" ويعود هذا التّوسع لمفاهيم واتّجاهات أخرى تناولها الجاحظ لا باعتباره

معتزلياً فحسب، بل باعتباره كاتباً منشئاً وأديباً<sup>57</sup>، وهذا مناط بحثنا ومجال اهتمامه من خلال التركيز على الشقّ الأدبي في هذا الفكر. فإذا كان المعتزلة قد آثروا اللفظ على المعنى «وكانت العلاقة على مستوى المفردات اللغوية علاقة انفصام فإنّها كذلك على مستوى التركيب، فثمة معانٍ في النفس وعبارات تدلّ عليها، وإذا كان الأشاعرة قد وحدوا بين الدلالة والمدلول فقد فصل المعتزلة بينهما، وعلى مستوى الكلام الإلهي امتنع المعتزلة عن استخدام عبارة "المعاني النفسية" واستخدموا بدلاً منها كلمة "قصد"<sup>58</sup>، الذي تدلّ عليه حال المتكلم وغايته، وهو الذي يحدث المطابقة بين القصد والمواضعة لتحقيق وظيفة اللغة المتمثلة في الإنشاء على المستوى الضيق؛ وعلى مستوى أوسع يركّز الجاحظ على عنصر الإبانة، حيث «إنّ مفهوم اللغة يتجسّد بوضوح من خلال الإبانة التي هي ضرورة من ضرورات الاجتماع البشري، قصد تبادل المعرفة ونقل الخبرة»<sup>59</sup>، ليطلع على صفة الاجتماعية للغة في هذا الوقت المبكر، التي قال بها النقد الحديث على لسان دي سوسير. إذا كانت اللغة هي ما يتوسل به الأدباء والمبدعون في التعبير عن أفكارهم وأحاسيسهم، فإنّها قد جاوزت هذا المقام في صورة استثنائية عند الجاحظ وأصبحت هي الفيصل في المفاضلة بين المبدعين؛ إذ متى كان اللفظ «كريما في نفسه متخيّرا في جنسه، وكان سليما من الفضول، بريئا من التعقيد، حُبب إلى النفوس واتّصل بالأذهان والتحم بالعقول وهشت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب وخفّ على ألسن الرواة وشاع في الآفاق ذكره»<sup>60</sup>، وقد كانت للغة هذه المكانة لحيازتها على فريدة التوسل عند الأدب وليس له خيار غيرها، فمن استطاع تصيير المفردات المتناثرة كلاً متألّفا حاز على وسام اللغة الأدبية. على نفس الشاكلة يتجاوز الرّماني (384هـ) وظيفة الإفهام إلى حسن الإفهام من خلال تحديده لماهية البلاغة، نافيا أن تكون وظيفتها إفهام المعنى أو تبليغه بأي طريقة كانت «لأنّه قد يُفهم المعنى متكلّمان أحدهما بليغ والآخر عبي»<sup>61</sup>، والكلام لا تتحقّق بلاغته بمجرد تطابق اللفظ مع المعنى أو الدالّ مع المدلول، وإن كان تطابقهما ينتج الدلالة المقصودة، فإن اللفظ يكون نابيا مستكرها فيتلاشى بريق الحسن في الكلام<sup>62</sup>، ولن نحوز حينئذ إلا على مستوى الإفهام. أمّا حسن الإفهام فإنّه يتحقّق عن طريق «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»<sup>63</sup> ليتماهى المستويان معاً، مستوى الإبلاغ من خلال إيصال المعنى إلى القلب كغاية أساسية للغة، ومستوى طريقة الإبلاغ النوعية لتتشكل من هنا ماهية البلاغة من خلال تطابق الإبلاغية مع البلاغية أو الوظيفية مع الجمالية. فالبلاغة من هذا المنظور طرائق نفاذ المعنى إلى القلب، وليس وصوله فحسب، وهذا ما أصرّح عليه في العصر الحديث بالوظيفة الشعريّة، وقد عدّ بعض الباحثين

البلاغيين ذلك مؤشرا على سريان روح جديد في فهم منزلة البلاغة العربية قديما حيث الربط بين التعبير والتأثير<sup>64</sup>، وذلك بمراعاة استجابة المتلقي للتعبير من خلال ما تحتويه من أساليب للتأثير، ويكون ذلك في إحداث فرادة في استقطاب المتلقي وأسرره عن «طريق توصيل المعنى بكيفية معينة تفلح في أن تبلغ موقعها من قلب المتلقي»<sup>65</sup>، لإحداث الإقناع والتأثير بعد الإفهام والتوضيح، لتنتقل ماهية اللغة من البيان إلى حسن البيان. وما يعضد اهتمام المعتزلة بعنصر الإبانة والوضوح ما ورد في صحيفة بشر بن المعتمر<sup>(\*)</sup> 210هـ من ناحية مضمونها اللغوي الذي يتماشى ووظيفة اللغة الإبلاغية<sup>66</sup>، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية نعتقد «أن أول تعاطٍ مع البلاغة في العربية بمقدار واضح من الوعي هو تعاطي بشر بن المعتمر، حيث تمثلت له البلاغة في البساطة والوضوح ومشاعة المعاني واستقرار الألفاظ في أماكنها»<sup>67</sup> ليشاكل بين الإبلاغية والبلاغية في سطور وما وراء سطور صحيفته. ولعلنا لا نغالي إذا قلنا أن صحيفة بشر بن المعتمر، كانت البوابة التي أطل منها البلاغيون والنقاد الذين جاؤوا بعده حيث ظلت عباراته «التي توسع فيها الجاحظ عن الألفاظ والمعاني ووجوب مراعاة التشاكل والملاءمة بينهما»<sup>68</sup> المصدر الأول في تأسيس علم البلاغة من خلال إشارته لمختلف الأسس<sup>(\*\*)</sup> التي انبنت عليها من مقتضى الحال وأقدار المستمعين وكل ما له صلة «بطرائق التأثير خارج الفضاء اللغوي من خلال الجانب النفسي وداخل الفضاء اللغوي من خلال التأليف والنظم»<sup>(69)</sup> وغيرها من تفاصيل الأداء. كخلاصة لما قلنا في هذه الدراسة فقد تجاوزت اللغة في الفكر الاعتزالي الوظيفة الأحادية المتمثلة في الإيصال إلى الاتصال والتواصل، ومن ثم التأثير والإقناع حيث الوصل يرتبط بنقل الخبر والاتصال يتعلّق بنقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، أما التواصل فإنه يرتبط بهما مع إضافة مقصدية المتكلم في المتلقي ومن ثمّة الإذعان والاستمالة حيث اللغة في هذا الفكر أخذت على عاتقها تحقيق الإقناع والتأثير، وتجاوزت الوظيفة الأحادية، الأمر الذي توصل إليه النقد الحديث والمعاصر من خلال وظائف اللغة الست مع روما ياكبسون، وهناك من أضاف وظيفة سابعة تمثلت في الوظيفة الإقناعية.

## الإحالات والهوامش:

- 1 - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية "بحث في تقنيات السرد" عالم المعرفة الكويت 1998، ص98.
- 2 - ابن سينا، العبارة (الشفاء) الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1970م، ص1-2.
- 3- Ferdinand de Saussure, cours de linguistique général, Editions préparé par Tullio de Mauro, Editions payot, paris, 1985, p24-25
- 4 - ينظر: إدوار سابير، اللغة والخطاب الأدبي، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان/الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1993م، ص: 33.
- 5 - ابن جني أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت: ط2، ج1، ص33.
- 6 - Gallimard, Emile Benveniste, problèmes de linguistique général, Tome2, Editions, paris, 1974, p259-260
- 7 - عمر مهيل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، منشورات الاختلاف، ط1، 2005م- 1426هـ، الجزائر/المركز الثقافي العربي الدار البيضاء-المغرب، ص 31.
- 8 - ابن خلدون، المقدمة، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص565.
- 9 - ابن خلدون، المقدمة، ص565
- 10 - Jean dubois et autres: Dictionnaire de linguistique, Librairie Larousse, 1973, p: 96.
- 11 - أحمد يوسف، سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، "المفاهيم والآليات"، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران-الجزائر، ص45.
- 12 - أوستين، نظرية أفعال الكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1991، ص6.
- 13 - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي ط2، 2000، الدار البيضاء، المغرب/بيروت- لبنان، ص38.
- 14 - إدوار سابير، اللغة والخطاب الأدبي، ص96.
- 15 - عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص96.
- 16 - مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رجب 1415هـ-يناير 1995، ص12.
- 17 - منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمال، منشأة المعارف، الإسكندرية 1988 ص20.
- 18 - أحمد درويش، النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص17.

19 - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، ط2 (د ت) (مقدمة الكتاب) ص23.

20 - لطفي عبد البديع، الشعر واللغة، مكتبة لبنان ناشرون، 1998، ص17.

21 - أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، 1982، ص20.

(\*) رومان ياكبسون شخصية علمية فذة تربعت على ريادة النقد الألسني، ترحل في أوروبا وأمريكا باثًا فكره البنوي في عدد لا يحصى من المرددين، ولد عام 1896 [إراجع هنا ترجمته: Styk XI: Sepeok ضمن المسدي الأسلوبية، ص241] وعبد الله الغدامي الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998، ص9]

22 - وضع ياكبسون ستة عناصر لتحقيق التواصل ممثلة في الخطاطة التالية

سياق Contexte

المرسل Destinataire ..... رسالة Message ..... المرسل إليه

وسيلة Canal

شيفرة Code

Voir :R. Jakobson, Essais de linguistique général, Minuit, Paris, P 214.

وينظر: رومان ياكبسون، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال - المغرب، ص27.

لقد حدّ ياكبسون اللغة والمحيط اللغوي من أول رؤية إلى حقلها، وهو يرسم خطوط نظريته التواصلية بحدود تتسم في مجملها بالارتسامات الشمولية عندما رفض إبعاد كل ماله علاقة بالعامل اللغوي عن الدرس اللساني، فجعل بهذه الرؤية المنهجية من اللسانيات عملاً علمياً يستغرق كل جزئيات اللغة الداخلية والخارجية، وما ينجم عن هذه الجزئيات من وظائف متباينة حسب تباين مآلات الفعل اللغوي وأصرّ على دراسة اللغة في كل تنوع وظائفها [الظاهر بومزبر، التواصل اللساني والشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكسون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص13].

(\*\*) أشار حازم القرطاجني (684هـ) إلى معظم عناصر العملية التواصلية من خلال حديثه عن الأقاويل الشعرية التي تختلف مذاهبها، وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه أو التي هي أعوان للعمدة، وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه، أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى المقول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له [حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص: 346. فما يرجع إلى القول نفسه الرسالة وما يرجع إلى القائل هو المرسل، وما يرجع إلى المقول فيه هو السياق، وما يرجع إلى المقول له هو المرسل إليه. [ينظر: عبد الله الغدامي الخطيئة والتكفير، ص17].

23 - خوسيه ماريّا بوثيلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة حامد أبو أحمد مكتبة غريب، القاهرة، ص76.

(\*) تيون فان ديك من مواليد 1943، يشغل منصب أستاذ لدراسات الخطاب بجامعة أمستردام، من أهم أعماله: Some Aspects عام 1972، و"النص والسياق" الذي ترجمه إلى العربية عبد القادر قنيني [ينظر: النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، ص 09] (\*\*\*) التداولية، مجال واسع يشمل الاتجاه اللساني الذي يعنى بالتساؤلات الآتية: من يتكلم؟ وكيف؟ ولماذا يتكلم؟... إلخ وهي منهج في التفكير، وطريق في تحليل الخطاب أما "الجانب التداولي للغة يتعلّق بخصوصية استعمالها"

[ ينظر: Jean Dubois et autre, Dictionnaire de linguistique, p:388 ]  
"والتداولية نظام يدرس كيفية وضع عبارة ما ضمن سياقها، فهي تهتم خاصة بالعلاقات التي تقوم بين الأفراد المتخاطبين عبر عملية التعبير" [ Dominique Maingueneau ]  
Aborder la linguistique, Mémo, ]Editions du seuil collections Paris, 1996, P29  
كما يتحدد مفهوم التداولية بأنها "دراسة الاتصال اللغوي في السياق [ينظر: عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية، ص22] وتأسيسا على المفهوم العام لـ Pragmatique في الدرس اللساني الغربي الحديث، الذي هو دراسة اللغة حال الاستعمال، فقد اختار طه عبد الرحمان مصطلح التداوليات مقابلا لـ Pragmatique "قائلا: «وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح التداوليات قابلا للمصطلح الغربي "براغماتيقا" لأنه يوفي المطلوب حقّه باعتبار دلالاته على معنيي "الاستعمال" و"التفاعل معا"» [ينظر: طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص27] ولم يحدث اتفاق حول أول من استخدم مصطلح التداولية، فهناك من يرى أنه طه عبد الرحمان [ينظر: عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2004، ص57]. وهناك من يرى أن أول من استعمله أحمد المتوكّل صاحب "الوظائف التداولية في اللغة العربية" [ينظر: خوله طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصة - الجزائر، 2000، ص176].  
(\*\*\*) هارولد لاسويل "Harold Lasswell" من أبرز العلماء الذين اهتموا بتحديد وظائف الاتصال [ينظر: صالح ذياب هندي، أثر وسائل الإعلام على الطفل، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان، ط1، 1999، ص12].

24 - J.chalen, Elements de linguistique et de pragmatique pour la compréhension automatique du langage: du signe au sens, Editions clips, Paris, P: 32.

25 - Lasswel The Structure Function of communication in society in schramm chicago: univesity of LLL inois préss, 1977, P: 84

[عن صالح خليل أبو أصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، دار آرام للدراسات والنشر والتوزيع، عمان: ط1، 1995، ص13]  
(\*) لاوسبرج باحث ألماني.

26 - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون/الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط1، 1996، ص123-124.

- 27 - سعيد حسين بحيري، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مكتبة لبنان ناشرون/الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1 1997، ص10.
- 28 - عمر مهيبيل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية، ص363.
- (\*\*) الصياغة الموجزة "نظرية الاتصال الأدبي" ينبغي أن تكون على الطريقة التالية: نظرية أفعال الاتصال الأدبي، والمواد حالات الأشياء والافتراضات والنتائج التي تحمل أهمية لهذا الاتصال [ينظر: خوسيه ماري بوثيلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية ص92].
- 29 - خوسيه ماري بوثيلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية، ص92.
- 30 - محمد نظيف. الحوار وخصائص التفاعل التواصلي. إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب؛ 2010م، ص:40.
- 31 - خليفة بوجادي. في اللسانيات التداولية. بيت الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر ط1 ؛ 2009م، ص:154.
- 32 - عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب. ص: 27.
- (\*) الذرائعية الأدبية موروثية عن الذرائعية اللغوية، وهي تنطلق من السيميوطيقا التي حددها ش. مورييس بأنها تلك التي تدرس العلاقات التي تقوم بين المرسل والمستقبل والدليل وسياق الاتصال، في حين يمكن أن يدرس علم الدلالة "Sementica" العلاقات بين الدليل والمتعلق به "Réferente" المعبر به عنه [ينظر: خوسيه ماري بوثيلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية ص88].
- 33 - خوسيه ماري بوثيلو إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبية ص88.
- 34 - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي بيروت، 2005، ص49.
- (\*) أثرت أن أسميه في هذا المقام "اختلافا" لما يحدثه الاختلاف من نعم في ثراء الآراء التي دفعت حراك النقد والبلاغة إلى الأمام، في الوقت الذي كان "خلافا" يحمل طابع النعمة لما أحدثه من تشتت في وحدة الفكر خاصة محنة خلق القرآن.
- (\*) المتكلمون فرقة نصبت نفسها للدفاع عن العقيدة والدين، وقد انقسموا إلى فرق حسب اختلافهم في فهم موضوعات علم الكلام منهم الأشاعرة، ومنهم والمعتزلة نسبة لاعتزال واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري (110هـ) في بعض ما اختلف معه، ومنهم الخوارج والمرجئة... إلخ [ينظر: سعد رستم، الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، 2004، ص2 وما بعدها]. وعلم الكلام: علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته وأحوال الممكنات من مبدأ والمعاد على قانون الإسلام [ينظر: الجرجاني، التعريفات، تحقيق نصر الدين تونسي شركة ابن باديس للكتاب الجزائر، ط1، ، 2009/1430، مادة "كلم" ص296].

- وقد اختلفت الآراء في سبب تسميته بهذا الاسم والمرجح أن أبوابه عُنونت بـ: "الكلام في كذا" وأن مسألة الكلام أشهر أجزائه [ينظر: أحمد أبو زيد، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة والإعجاز القرآني، دار الأمان للنشر، الرباط، المغرب، ط1، 1989، ص11].
- 35 - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب "أسسه وتطوره إلى القرن السادس" منشورات الجامعة التونسية، 1981، ص36.
- 36 - وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة "حتى نهاية القرن السادس الهجري" دار الثقافة الدوحة، قطر، 1985، ص31.
- 37 - علي مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي، دار المشرق بيروت - لبنان، ط2، 1992، ص33.
- 38 - علي عشري زايد، النقد الأدبي وصلته بالبلاغة في القرنين الثالث والرابع "المصادر والقضايا" مكتبة الشباب، القاهرة، ص19.
- 39 - ينظر: وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، ص31.
- 40 - المرجع نفسه، ص31.
- 41 - المرجع نفسه، ص6.
- 42 - إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان - الأردن، ط2، 1993، ص68.
- 43 - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، 1965 ص65.
- 44 - المرجع نفسه. ص: 64.
- 45 - شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) دار المعارف مصر، ط2؛ 1975 م، ص: 151.
- 46 - جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992، ص144.
- 47 - مختار لزعر، التأويلية، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، 2007 ص188.
- 48 - المدخل من هذا البحث، ص: 02.
- 49 - المرجع السابق، ص190.
- 50 - مختار لزعر، التأويلية، ص: 193.
- 51 - المرجع نفسه، ص: 193.
- 52 - المرجع نفسه، ص: 194.
- (\*) القصد في الفكر الاعتزالي محول عن ما عرف "بالمعاني النفسية" عند الأشاعرة فعلى مستوى الكلام الإلهي امتنع المعتزلة عن استخدام "المعاني النفسية" واستخدموا بدلا منها كلمة "القصد" [ينظر: نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب/بيروت، ط5، 2003، ص89].



القصد هنا يقترب من "النية" التي قال لها ابن رشيق، في تعريفه للشعر والتي اعتمدت فيصلاً في التفريق بين الأجناس الأدبية خصوصاً تنزيه النص القرآني عن كونه شعراً أو نثراً، بالإضافة إلى تنزيه الرسول صلى الله عليه وسلم عن كونه شاعراً -الذي نزهه الله في القرآن في غير موضع- فقد ثبت أنه قال كلاماً موزوناً ولم يعدوه شعراً لخلوه من النية والقصد، [ينظر: ابن رشيق، العمدة، ج1، ص109-120] أمّا في العصر الحديث فلم يُعتد القصد فيصلاً بين الأجناس في خضمّ تداولها، وإنما أصبح مقياساً في تحديد نصية النصّ.

- 53 - نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص86.
- 54 - القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، تقويم أمين الخولي إشراف طه حسين، الشركة العربية للطباعة والنشر، شعبان 1380/ديسمبر، ط1، 1960 ج15، ص162.
- 55 - المرجع السابق، ص87.
- 56 - المرجع نفسه، ص90.
- 57 - نصر حامد أبو زيد، الاتجاه العقلي في التفسير، ص: 90.
- 58 - المرجع نفسه، ص89.
- 59 - مختار لزعر، التأويلية، ص 190.
- 60 - الجاحظ، البيان والتبيين، تقديم: علي بوملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت: 2007م، ج 2، ص6.
- 61 - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، ص75.
- 62 - ينظر: رشيد بن يمين، جمالية السرد الإعجازي "بحث في اتجاهات دراسة القصص القرآني" رسالة دكتوراه، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2008-2009 ص50.
- 63 - المرجع نفسه، ص76.
- 64 - حمد سيد محمد عمّار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي دار الفكر، دمشق، سوريا، ط2، 2000، ص 76.
- 65 - صلاح رزق، أدبية النصّ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 2 2001، ص 25.
- (\*) نص الصحيفة ضمن البيان والتبيين للجاحظ، ج1، ص135.
- 66 - أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت: 2008 ص141.
- 67 - مهدي زيتون، إعجاز القرآن وأثره في تطوّر النقد، ص37.
- 68 - وليد قصّاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، ص455.

(\*\*) يقول أحمد أمين في هذا الصدد «ولا نعلم قبل بشر من تعرض لوضع هذه الأسس في اللغة العربية فلو أسميناه "مؤسس علم البلاغة" لم نبعد» [ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام، ص 605].

69 - شوقي ضيف، البلاغة تطوّر وتاريخ، ص 35.